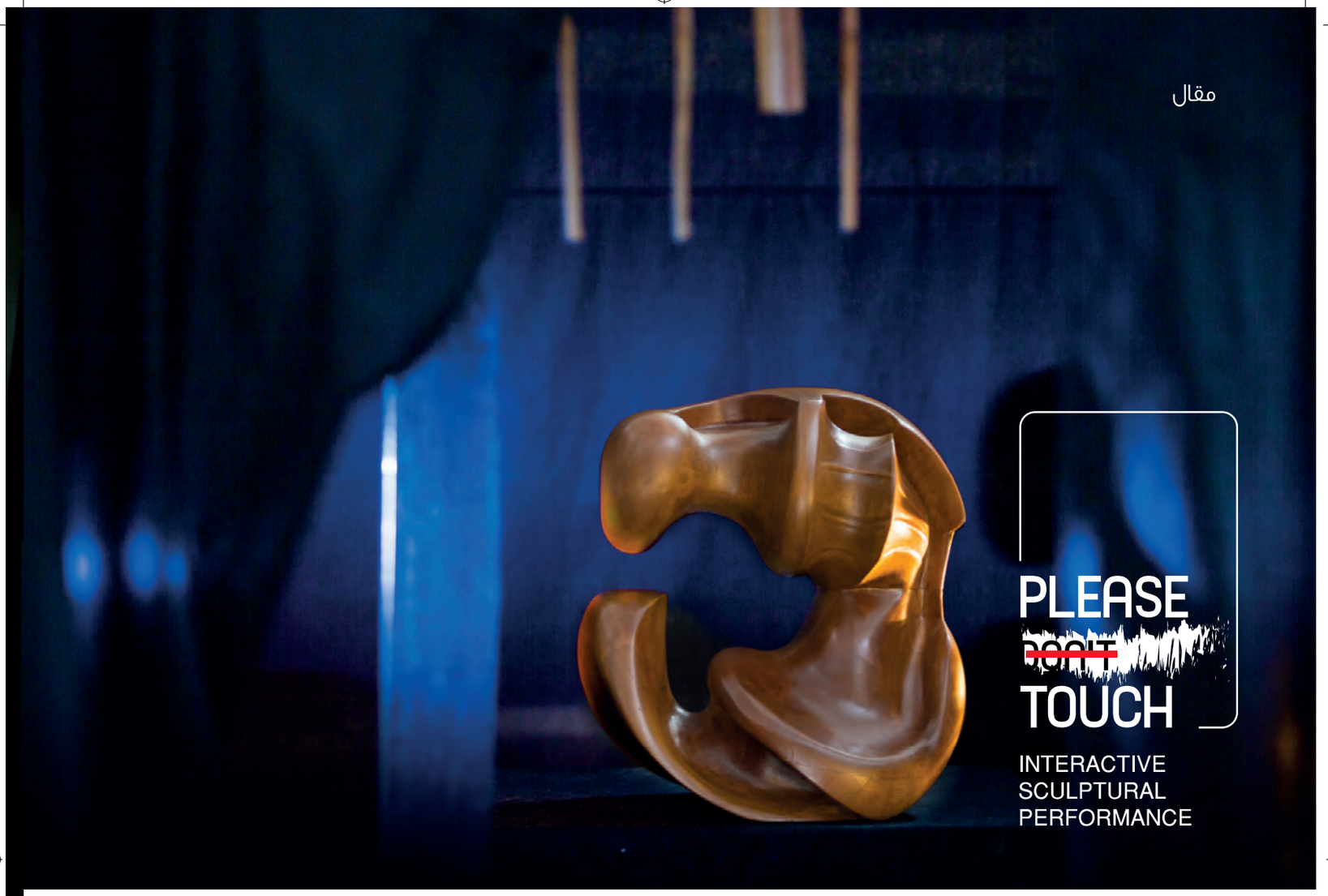

معرض نادين أبو زكي «رجاءً اللّمس»

دَعْ عينَيكَ الآثمتَين خارج الصّالة

كتب جوزيف عيساوي:

كالعائد إلى عتمة الرّحم يَلِجُ الزّائر الفضاءات حيث «مَسْرحت» نادين أبو زكي منحوتاتها التّفاعليّة، سائلةً إيّاه كعنوان مُلتبس للدّعوة: «رجاءً لا تلمس» وهي إنّما تقصد: المس وتحسَّس ودَعْ عينَيكَ «الآثمتَيْن» خارج القاعة.

في حدثٍ فنّيٍّ دعت إليه غاليري «أجيال» شَهِد روّاد ليلة الافتتاح (في صالة «ستايشن»، سنّ الفيل – الجسر الواطي) للمرّة الأولى في بيروت منحوتةً متحرّكةً (أداء ليزا شحادة) فاجأت مَن يلمسها (باعتبارها أحد الأعمال المركونة) بتحوّلاتها متّخذةً أشكالاً شتّى. هذا العرض لمنحوتةٍ – حيّةٍ مستقرّةٍ على طاولةٍ في قاعةٍ شبه مُظلمة، كان الصّدمة الأولى لزائرٍ/ زائرةٍ تعوّد سكون النّحت حتّى في حركة إبداعه. فإذا بفنّانةٍ معاصرةٍ تقلب المعادلة. سبق للكوريغراف والرّاقصة جورجيت جبارة أن رقصت مع تمثالٍ في بلدة النّحت راشانا، شمالي لبنان، قبل عقودٍ عدّة. وهو ما عادت وكرّرته على طريقتها كارولين حاتم في برنامجٍ تلفزيونيٍّ («قريب جدّاً» – «الحرّة»، 2010). لكن ما شهده روّاد «ستايشن» (في ليلتين) كان أقرب إلى مفاهيم الفنّ المعاصر (منه إلى الرّقص الحديث) حيث يُمثّل أداء المنحوتة الحيّة لحظةً تفاعليّةً تتحرّك عندما يجسّها الزّائر بإصبعه، جامعةً السّكون والحركة في «طبيعةٍ» واحدةٍ ولحظةٍ عابرة.

عودةٌ إلى الذّات

هذا التّفاعل للحضور استُكمل مع المنحوتات/ التّجهيزات الموزّع كلٌّ منها داخل غرفةٍ مُظلمةٍ بالكاد تُضاء بعد أن يدخلها (بثوانٍ عدّة) السّائر فيها على أرضٍ رمليّة، أو مائيّة، أو هوائيّة، أو صَلبة. يلمسُ المنحوتة أوّلاً، يتحسّسها، ثمّ يزورهُ ضوءٌ شحيحٌ كأنّه البصيص للغوص لا النّظر. وهكذا يظلّ التّحسّس بالكفّ والأنامل هو الأصل هنا، ترافقه أصوات الطّبيعة في بكورها (إعداد زيد حمدان).

وهكذا يتحصّل للزّوّار والزّائرات أن «يتذوّقوا»

Nadine Abou Zaki Sculpture-2.indd 30 12/8/2014 12:22:34 PM

باللّمس أشكالاً خشبيّةً أو حجريّةً وُلدت بدورها في العتمة، لعلّها ترجع به إلى حالة جنينيّة تُعيد دمجه مع ما تناثر أو ضاع أو سقط من ذاته، الخاصّة وربّما الكونيّة.

لكأنّ ما سعت إليه نادين أبو زكي فهمٌ للنّحت ينطلق هذه المرّة من رؤية للعمل الفنّيّ باعتباره لحظةً عابرة في الوجود (كأيّ لحظةٍ أخرى في الحياة) لا تتكرّر. وهي إنّما تفعل ذلك مع أحد أكثر الفنون «عُرضةً» للجمود والرّسوخ (في الكتلة) والخلود (في الزّمن). تلك مفارقةٌ يُبرّرها ويمنحها سبباً آخر لتنضوي في الحقل الاختباريّ المعاصر، اشتغال الفنّانة تماثيلها، كما أسلفنا، في العتمة مكتفيةً بيدَيها وطاقتها وبريق العين الدّاخليّة وهي تعجن الطّين (قبل تحويله لاحقاً أعمالاً خشبيّةً أو حجريّة).

البدائيّة العظيمة

وهكذا فما «أبصرته» أو استرجعته في الظّلام والصّمت والوحدة من ذاكرةٍ أو ذاكرات بعيدة، لا «يُرى» أو ينقشع إلاّ في عمى النّظر ويقظة الحاسّة «الأمّ» حيث «البدائيّة العظيمة للّمس (مكان) الوحدة الكبرى للمادّة» كما يعبّر فرناندو بيسوا.

ليس ربط الأعمال إذاً بالتّجهيز أو فنّ الأداء مجرّد «إضافةٍ» خارجيّةٍ تفاعليّةٍ مع فنٍّ بات للكثيرين عجوزاً (لولا خفنة نحّاتين ومعماريّين كبارٍ في العالم). بل إنّ ولادة المنحوتات بين كفّين تحوّلتا رَحِماً متوتّرة وحاضنة، دفع النّحّاتة ابنة الحداثة وما بعدها إلى ربط فنّها «المعمِّر» بأحدث مفاهيم المعاصرة وأدواتها. فإذا كان الفنّ المعاصر كما عرَّفه رائده دوشامب، تجريد الغرض أو الشّيء من وظيفته المعتادة، فإنّ نادين أبو زكي بإلغاء حاسّة النّظر، أو التّخفيف ما أمكن منها حدَّ «البقبشة» بالأصابع، ابتعدت بالنّحت عن «وظيفته» بأبعاده المنظورة مانحةً إيّاه «جسداً» وحضوراً آخر لا يُكتشف إلاّ باللّمس وسط حالةٍ من العمى.

العابر والخالد

في ذروة تكنولوجيا الصّورة، إذاً، واشتغال العين بما يُنهكها من صورٍ ومشهديّات، اختارت أبو زكي العودة بنا إلى بدائيّة اللّمس: لمس التّماثيل والسّير إليها على موادّ الطّبيعة (الرّمل، المياه...) قبل أن يغزوَها العمران، وسطَ أصواتٍ ليست سوى العناصر الأولى من ترابٍ

وسقسقة مياهٍ وهدير بحرٍ ورياحٍ ونار الرّعود.
خطِرٌ ويتطلّب جرأةً ما فعلته نادين بفنٍّ كالنّحت عبر ربطه بالفنّ المعاصر، ونقله من بُعده البصريّ الغالب إلى الحسّيّ، وطبعاً تجربة التّفاعل الآنيّ، اللّحظويّ، بين الحاضرين والمنحوتة داخل التّجهيز، أو في عرض المنحوتة/ الحيّة، مُسقطةً بذلك الوجه الخالد لنُصْب المنحوتة لصالح الدّور «العابر» والزّائل الممنوح لها في الصّالة.

أسئلةٌ من بيروت

لعلّ السّؤال الذي يُطرح: ما «مصير هذه التّماثيل حين ستُسلخ» بعد المعرض عن تجهيزاتها وغُرَفها المعتمة؟ سؤالٌ يُطاولُ طبعاً مختلف أعمال التّجهيز والعروض والأداء، وقد بات لها متاحفُ خاصّةٌ في الغرب (آخرها مبنى «لوي فويتون» Louis Vuit-ton الذي دُشّن الأسبوع الفائت في باريس، ويُعتبر معلماً معماريّاً يُذكّر بصروح كالأهرامات وتاج محلّ وأوبرا سيدني...).
سؤالٌ وسواه لا بدّ من أن يخطر في بال الفنّانة اللّبنانيّة التي لا تكفّ معرضاً بعد آخر عن مساءلة الذّات وفنّها نفسه، طبيعةً ووظيفةً، في منطقةٍ تتفسّخ أحوج ما تكون إلى ابتكارات أبو زكي ورفاقها ومَن هم صُنوٌ لهم في مدينةٍ يرى أهلها الشّمس من ثقوب خرابها. مدينةٌ كان وسيظلّ اسمها بيروت.

هذا المعرض تمّ بالتعاون مع:

موريال أبو الروس (مخرجة الفيلم التعبيري)
زيد حمدان (تصميم صوتي – لمسي)
علاء ميناوي (الإضاءة الفنيّة)
ليزا شحادة (المنحوتة الحيّة)
بشارة عطا الله (النسيج)
Skaff (السّتائر)